المنهج القرآني في الرد على المخالفين من خلال سورة (ق)

إعداد

د.عبد الرحمن عبد اللّه سرور الجرمان

أستاذ مشارك بقسم الدراسات الإسلامية

كلية التربية الأساسية

الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب

دولة الكويت

ملخص البحث

يُعنىٰ هذا البحث بدراسة المنهج القرآني في الرد علىٰ المخالفين من خلال سورة (ق).

وقد قُسِّم إلىٰ مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة وفهرس للمراجع والمصادر.

المقدمة: تتضمن بيان أهمية الموضوع، والأسباب الباعثة علىٰ اختياره، وأهدافه وأسئلته، وحدوده وخطته ومنهجه، والتمهيد: فيه حديث مختصر عن سورة (ق)، والمبحث الأول: طرق الاستدلال في الرد علىٰ المخالفين، والمبحث الثاني: الآداب الشرعية في الرد علىٰ المخالفين، ثم الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

وكان من أبرز نتائج البحث:

١ .أهمية الرد علىٰ المخالفين ودعوتهم وبيان الحق لهم؛ فالقرآن الكريم مليء بذلك.

٢ .أبرز ما عنيت به سورة (ق) هو الاهتمام بجانب العقيدة وتصحيحها عند المخالفين، خاصة في موضوع البعث بعد الموت.

٣ .من أبرز طرق الاستدلال في الرد علىٰ المخالفين في سورة (ق): الاستدلال بالقياس، والإلزام بما يعرفه الخصم، والاستدلال باختلال الخصم، والتدلي في الاستدلال من الأعلىٰ إلىٰ الأدنىٰ، والاستدلال بالمآلات وبيان العاقبة.

٤ .من الآداب الشرعية في الرد علىٰ المخالفين التي تناولتها سورة (ق): المجادلة بالعلم، والصبر علىٰ الأذىٰ، والاستعانة بأداء العبادات، واستحضار أن الهداية بيد الله تعالىٰ، والاستمرار في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ.

ومن أبرز ما يوصي به الباحث: البحث في طرق الاستدلال القرآني، وكذلك في منهج الأنبياء الكرام في ردودهم علىٰ أقوامهم.

الكلمات الدلالية: القرآن – رد – مخالف – استدلال – ق.

❋ ❋ ❋

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

فإن القرآن الكريم نزل لهداية الناس أجمعين، وبيان الطريق القويم، وإخراج الناس من ظلمات الجهل والشرك والمعصية إلىٰ نور العلم والإيمان والطاعة، قال الله تعالىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢]، "وخص الله تعالىٰ المتقين بهدايته -وإن كان هدىً للخلق أجمعين- تشريفاً لهم؛ لأنهم آمنوا وصدقوا بما فيه"(١)، وقال تعالىٰ: ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ۝١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝١٦ ﴾ [المائدة:١٥- ١٦].

وإن من طرق هدايات القرآن الكريم: مجادلته للمخالفين وتنوع استدلالاته في الرد عليهم؛ رغبة في إخراجهم من الباطل إلىٰ الحق، ومن الظلمات إلىٰ النور، ومن الجهل إلىٰ العلم، وإقامة للحجة عليهم، وقد أبدع غاية الإبداع في إفحام المخالفين، وإبطال دعاواهم، ودحض شبههم، وإلزامهم بقبول الحق، فاستخدم طرق الاستدلال العقلي الذي لا يمكن للمخالف دفعه، مع روعة أسلوب، ودقة معنىٰ، وسهولة مبنىٰ، فكان في غاية الإحكام والإبداع.

وسأحاول في هذا البحث تسليط الضوء علىٰ المنهج القرآني العظيم في الرد علىٰ المخالفين عن طريق بيان طرق استدلاله في الرد علىٰ المخالفين، واستنباط الآداب الشرعية في هذا الجانب، من خلال سورة (ق).

واخترت سورة (ق)؛ لأنها جاءت للرد علىٰ المخالفين في موضوع البعث

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٢٤٨.

والجزاء، واشتملت على طرق متنوعة في الاستدلال والمحاجة، وآداب شرعية عديدة في الرد على المخالف، فأردت استخلاص المنهج القرآني في الرد على المخالفين كما تصوره هذه السورة الكريمة.

أهمية الموضوع:

من معالم أهمية هذا الموضوع ما يأتي:

١-إن العالم الداعية إلى الله تعالى يحتاج إلى معرفة المنهج القرآني في الرد على المخالفين، من خلال معرفة تنوع طرق استدلالاته، وآدابه الشرعية المرعية في هذا الجانب؛ ليدعو إلى الله على بصيرة وفق منهج القرآن الكريم وسنة الرسول -عليه أفضل الصلاة والتسليم-، فإن مراعاة هذه الجوانب أدعى لقبول المخالفين للحق وإذعانهم له، وعدم مراعاتها أدعى لبعدهم عن الحق وعدم قبولهم له.

٢-ما يواجهه العالم الإسلامي اليوم من موجات عديدة من الإلحاد والتشكيك والطعن، وربطه بما هو منه بريء كالإرهاب وغيره، ومحاولة غزو أفكار الشباب وزعزعة عقيدتهم وهدم الثوابت الدينية في نفوسهم؛ يوجب على العلماء والدعاة بذل المزيد من الجهد في تعزيز العقيدة والدين في نفوس أبناء هذه الأمة، والرد على المخالفين بالحجج القوية وفق منهج القرآن العظيم ورسولنا الكريم -عليه أزكى الصلاة وأتم التسليم-.

ومن أهم الأسباب الباعثة على اختيار هذا الموضوع:

١.أهمية هذا الموضوع كما سلف ذكره.

٢.إبراز المنهج القرآني في الرد على المخالفين من خلال بيان طرق استدلاله وآدابه.

٣- فائدة هذا الموضوع في احتواء المخالفين إفهاماً أو إفحاماً، عن طريق المجادلة الحسنى التي لا تخلو من مجالدة فكرية تقمع المخالف وترد غوايته.

أهداف البحث وأسئلته:

يهدف البحث إلىٰ بيان المنهج القرآني في الرد علىٰ المخالفين عن طريق دراسة طرق الاستدلال وكذلك الآداب الشرعية في الرد علىٰ المخالفين من خلال سورة (ق)؛ للاستهداء به في الواقع العلمي والدعوي المعاصر.

فهو يسعىٰ للإجابة عن الأسئلة الآتية:

١. ما طرق الاستدلال في الرد علىٰ المخالفين في سورة (ق)؟

٢. ما الآداب الشرعية في الرد علىٰ المخالفين في سورة (ق)؟

حدود البحث:

للبحث حدود موضوعية لا يتعداها، وتتمثل في الحديث عن طرق الاستدلال والآداب الشرعية في الرد علىٰ المخالفين من خلال سورة (ق)، دون غيرها من بقية السور القرآنية.

الدراسات السابقة:

بعد البحث عن دراسات سابقة حول هذا الموضوع؛ وجدت دراسة للدكتورة مريم نافل الدويلة بعنوان: ردود القرآن علىٰ منكري البعث دراسة تطبيقية علىٰ سورة ق، وهو بحث محكم ومنشور في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الكويت العدد ١١١ ديسمبر ٢٠١٧.

وهي دراسة جيدة -بارك الله في مؤلفتها-، وعند النظر فيها وجدت أنها قسمتها إلىٰ مبحثين، الأول: مفاهيم البحث ومصطلحاته، والثاني: دراسة تطبيقية لردود القرآن علىٰ منكري البعث كما تحدثت عنها سورة (ق)، وقسمته إلىٰ أربعة مطالب: الأول: إنكار المشركين البعث والرد عليهم الآيات من ١ إلىٰ ٥، والثاني: دلائل كمال قدرة الله وعلمه تعالىٰ في الآفاق الآيات من ٦ إلىٰ ١٥، والثالث: دلائل كمال قدرة الله تعالىٰ وعلمه في الأنفس خلقاً ومآلاً الآيات من ١٦ إلىٰ ٣٨، والرابع:

تسلية الرسول ﷺ بما يعينه علىٰ أداء الرسالة الآيات من ٣٩ إلىٰ ٤٥.

فهي تفسر الآيات وتذكر مناسباتها وبعض الأسرار البلاغية وتركز علىٰ أدلة البعث في السورة كنموذج تطبيقي كما ذكرت الباحثة الكريمة.

وهذه الدراسة تختلف عن دراستي؛ حيث إني لم أقصد بدراستي تفسير وتناول السورة كاملة، وإنما فقط استخلاص المنهج القرآني في الرد علىٰ المخالفين من خلال سورة (ق) عبر بيان طرق الاستدلال في الرد علىٰ المخالفين، واستنباط الآداب الشرعية في الرد علىٰ المخالفين، وهذا ما خلت منه الدراسة سالفة الذكر.

خطة البحث:

تناولت موضوع هذا البحث من خلال الخطة الآتية:

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، وأسئلته، وحدوده، ودراساته السابقة، وخطته، ومنهجه.

التمهيد: فيه الحديث عن سورة (ق) ببيان سبب تسميتها ومكيتها وعدد آياتها ومقصدها وأغراضها وفضلها.

المبحث الأول: طرق الاستدلال في الرد علىٰ المخالفين من خلال سورة (ق).

المطلب الأول: الاستدلال بالقياس.

المطلب الثاني: الإلزام بما يعرفه الخصم.

المطلب الثالث: الاستدلال باختلال الخصم.

المطلب الرابع: التدلي في الاستدلال من الأعظم للأدنىٰ.

المطلب الخامس: الاستدلال بالمآلات وبيان العاقبة ترغيبًا وترهيبًا.

المبحث الثاني: الآداب الشرعية في الرد علىٰ المخالفين من خلال سورة (ق).

المطلب الأول: المجادلة بالعلم.

المطلب الثاني: الصبر علىٰ الأذىٰ.

المطلب الثالث: الاستعانة بأداء العبادات.

المطلب الرابع: استحضار أن الهداية بيد الله تعالىٰ.

المطلب الخامس: الاستمرار في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

وأخيراً فهرس المصادر والمراجع

منهج البحث:

يأخذ البحث منحىٰ التفسير الموضوعي، ومنهجي في تفسير الآيات المتعلقة به هو المنهج التحليلي والاستنباطي.

وأسأل الله تعالىٰ التوفيق والسداد، والهدىٰ والرشاد.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد،،،

* * *

التمهيد

سميت السورة بقاف لافتتاح السورة بها[١].

وهي سورة مكية[٢]، حكىٰ ابن عطية والفيروزأبادي الإجماع علىٰ ذلك[٣]، وذكر القرطبي[٤] عن ابن عباس وقتادة: أنها كلها مكية إلا آية واحدة، وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾[ق:٣٨] فإنها نزلت في اليهود.

وقال ابن عاشور موجِّها لهذا القول: "وهذا المعنىٰ وإن كان معنىٰ دقيقًا في الآية، فليس بالذي يقتضي أن يكون نزول الآية في المدينة؛ فإن الله علم ذلك فأوحىٰ به إلىٰ رسوله ﷺ علىٰ أن بعض آراء اليهود كان مما يتحدث به أهل مكة قبل الإسلام، يتلقونه تلقي القصص والأخبار، وكانوا بعد البعثة يسألون اليهود عن أمر النبوءة والأنبياء، علىٰ أن إرادة الله إبطال أوهام اليهود لا تقتضي أن يؤخر إبطالها إلىٰ سماعها، بل قد يجيء ما يبطلها قبل فشوها في الناس"[٥].

وعدد آياتها خمس وأربعون آية اتفاقاً[٦].

وهي أول سور المفصل علىٰ القول الراجح[٧]، وسمي مفصلاً لكثرة الفصل بين

---

(١) انظر بصائر ذوي التمييز ١/ ٤٣٧، والتحرير والتنوير ٢٦/ ٢٧٣.

(٢) انظر: معالم التنزيل للبغوي ٤/ ٢١٥، والمحرر الوجيز لابن عطية ٨/ ٢٩، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩/ ٤٢٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ٣٩٢، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي ١/ ٤٣٧، والتحرير والتنوير لابن عاشور ٢٦/ ٢٧٤.

(٣) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية ٨/ ٢٩، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي ١/ ٤٣٧.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٤٢٤.

(٥) التحرير والتنوير ٢٦/ ٢٧٤.

(٦) انظر: معالم التنزيل للبغوي ٤/ ٢١٥، والمحرر الوجيز لابن عطية ٨/ ٢٩، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩/ ٤٢٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ٣٩٢، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي ١/ ٤٣٧، والتحرير والتنوير لابن عاشور ٢٦/ ٢٧٤.

(٧) وقيل في أول المفصل أقوال أخرىٰ تصل بمجموعها إلىٰ اثني عشر قولاً، وأشهرها: ق والحجرات، =

سوره بالبسملة[١].

وقد ثبت في فضل سور المفصل ما رواه واثلة بن الأسقع ﷺ أن النبي ﷺ قال: (أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمَئِينَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِيَ، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ)[٢].

والمقصود الأعظم لسورة (ق) هو إثبات النبوة وبيان حتمية البعث والرد علىٰ منكريه.

وأما أهم أغراض هذه السورة الكريمة فهي[٣]:

١. التنويه بشأن القرآن العظيم.

٢. إثبات نبوة محمد ﷺ وصدقه فيما بلغه عن ربه تعالىٰ.

٣. الاستدلال علىٰ إثبات البعث وحتميته.

٤. بيان عقوبة الله تعالىٰ للمكذبين في الدنيا والآخرة.

٥. بيان وعد الله للمؤمنين بنعيم الآخرة.

٦. تسلية النبي ﷺ، وأمره بالصبر، والاستعانة بالطاعات، والاستمرار في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ.

وقد جاءت عدة أحاديث في بيان حرص النبي ﷺ علىٰ قراءة سورة (ق) لاسيما في المجامع العامة:

فعن جابر بن سمرة ﷺ قال: (إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي الْفَجْرِ بِـ ﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١﴾، وَكَانَ صَلَاتُهُ بَعْدُ تَخْفِيفًا)[٤].

=

انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ٣٩٢، وفتح الباري لابن حجر ٢/ ٢٥٩، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/ ١٨٠.

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ٣٩٢، وفتح الباري لابن حجر ٢/ ٢٥٩.

(٢) أخرجه أحمد: رقم (١٦٩٨٢)، (٢٨/ ١٨٨)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٤٨٠).

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز ١/ ٤٣٧، التحرير والتنوير ٢٦/ ٢٧٥.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة، باب القراءة في الصبح، رقم (٤٥٨).

وعن أم هشام بنت حارثة بن النعمان ﵁ قالت: لَقَدْ كَانَ تَنُّورُنَا وَتَنُّورُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَاحِدًا سَنَتَيْنِ أَوْ سَنَةً وَبَعْضَ سَنَةٍ، وَمَا أَخَذْتُ ﴿قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١﴾ إِلَّا عَنْ لِسَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، (يَقْرَؤُهَا كُلَّ يَوْمِ جُمُعَةٍ عَلَى الْمِنْبَرِ، إِذَا خَطَبَ النَّاسَ)(١).

وقد سأل عمرُ بن الخطاب أبا واقد الليثي ﵄: مَا كَانَ يَقْرَأُ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْأَضْحَى وَالْفِطْرِ؟ فَقَالَ: (كَانَ يَقْرَأُ فِيهِمَا بِـ ﴿قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١﴾، وَ ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١﴾)(٢).

وعن سبب تخصيص هاتين السورتين يقول القاضي عياض: "قال بعض أصحاب المعاني: واختصاص النبي ﵇ بقراءة هاتين السورتين في العيد لما فيهما من ذكر النشور والحشر وتشبيهه ببروز الناس وحشرهم للعيد كذلك وتذكّره به"(٣).

وقال ابن كثير: "والقصد أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بهذه السورة في المجامع الكبار، كالعيد والجمع؛ لاشتمالها على ابتداء الخلق والبعث والنشور، والمعاد والقيام والحساب، والجنة والنار، والثواب والعقاب، والترغيب والترهيب"(٤).

* * *

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم (٨٧٣)، قال ابن الأثير: "التنور الذي يخبز فيه، يقال إنه في جميع اللغات كذلك" النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ١٩٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب صلاة العيدين، باب ما يقرأ به في صلاة العيدين، رقم (٨٩١).

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٣/ ٣٠٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٧/ ٣٩٣.

المبحث الأول
طرق الاستدلال في الرد على المخالفين من خلال سورة (ق)

اشتمل القرآن الكريم علىٰ طرق كثيرة للاستدلال والاحتجاج والمجادلة للمخالفين، وقد تنوعت طرق وأساليب براهينه العقلية، فلا يملك المخالف إلا أن يقر بها ويذعن لها؛ لما تتميز به من وضوح المعنىٰ، وحسن العرض، وبلاغة اللفظ، وتحريك العقل، وتنوع الحجج، فهو المثل الأعلىٰ في هذا الباب.

وقد ذكر الشاطبي أن الأدلة الشرعية علىٰ نوعين(١)، أحدهما: أن يكون علىٰ طريقة البرهان العقلي، كقول الله تعالىٰ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الْأَنْبِيَاءِ: ٢٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النَّحْلِ: ١٠٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ [يس: ٨١]، وبيّن أن هذا النوع يستدل به علىٰ الموافق والمخالف؛ لأنه أمر معلوم عند من له عقل، فلا يقتصر به علىٰ الموافق في الدين

الثاني: الأدلة الشرعية النقلية ودلالاتها علىٰ الأحكام التكليفية، كقول الله تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَىٰ﴾ [الْبَقَرَةِ: ١٧٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [الْبَقَرَةِ: ١٨٣]، وبيّن أن هذا النوع من النصوص الشرعية لم توضع وضع البراهين، ولا أُتي بها في محل استدلال، بل جيء بها قضايا يعمل بمقتضاها مسلمة متلقاة بالقبول.

ومنهج القرآن الكريم في الاستدلال والاحتجاج يجري علىٰ عادة العرب في مخاطباتها ومعهود كلامها؛ لأنه الأقرب إلىٰ حصول المقصود، والشريعة الإسلامية لم توضع إلا علىٰ شرط الأمية، فالتزام الاصطلاحات والطرق المنطقية مناف لذلك، ومبعد عن الوصول إلىٰ المطلوب في الغالب(٢).

---

(١) انظر: الموافقات للشاطبي ٣/ ٢٤٨.

(٢) انظر: المصدر السابق ٥/ ٤١٣.

وسورة (ق) ليست عن هذا ببعيد، فقد تناولت عدة قضايا أبرزها قضية البعث، والتي ناقشتها مع المشركين الذين كذبوا رسولَ الله ﷺ في موضوع البعث بعد الموت، فقالوا: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾﴾، وقد سلك القرآن الكريم مسلكًا عقليًا عظيمًا ومنهجًا بديعًا في تقرير عقيدة البعث ودحض شبه المشركين حولها.

وكان من أبرز طرق الاستدلال القرآني التي اشتملت عليها سورة (ق): الاستدلال بالقياس، والإلزام بما يعرفه الخصم، والتدلي في الاستدلال من الأعلىٰ إلىٰ الأدنىٰ، والاستدلال باختلال الخصم، وكذلك بالمآلات وبيان العاقبة، وأيضًا بالأساليب التأكيدية.

وتفصيلها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: الاستدلال بالقياس

إن من طرق الاستدلال القرآني في هذه السورة العظيمة: الاستدلال بالقياس، وهو حمل حكم فرع علىٰ أصل لعلة جامعة بينهما[١].

والقياس له عدة أنواع[٢]، جاء منها في هذه السورة: قياس الأولىٰ، وقياس العلة، وقياس الدلالة، وفيما يأتي بيان ذلك:

أولًا: قياس الأَوْلىٰ:

قياس الأولىٰ هو الذي تكون فيه العلة في الفرع أولىٰ منها في الأصل[٣].

ومثال ذلك في سورة (ق) قول الله تعالىٰ: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥].

في هذه الآية الكريمة يقرر الله تعالىٰ أنه خلق الإنسان أولاً علىٰ غير مثال سابق؛

(١) انظر: شرح مختصر الروضة ٣/ ٢١٨.

(٢) انظر: البحر المحيط للزركشي ٥/ ٣٦، وشرح مختصر الروضة ٣/ ٢٢٣.

(٣) انظر: المصدر السابق ٥/ ٥٠.

فهو على إعادة بعثه بعد موته أقدر وأولى؛ لأن الإعادة أسهل وأهون كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم:٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [يس:٧٨-٧٩]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ﴾ [الإسراء:٤٩-٥١].

فقياس الأَوْلىٰ في الآية ظاهر لا لبس فيه؛ فمن قدر على البدء كان أقدر على الإعادة، قال ابن الحنبلي: "إن إيجاد المبادئ أصعب في مطرد العرف وحكم العقل من ردِّ شيء كان إلىٰ ما كان علىٰ ما لا يخفىٰ"(١).

وذكر الرازي هذه الآية الكريمة في معرض إيراده للشواهد القرآنية الدالة على إمكان الحشر والنشر قائلاً: "أنه تعالى لما كان قادراً على أن يخلقنا ابتداء من غير مثال سبق، فلأن يكون قادراً على إيجادنا مرة أخرى مع سبق الإيجاد الأول كان أولى"(٢). وهذا هو قياس الأَوْلىٰ المراد هنا.

ويؤكد هذا المعنى ما ثبت عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (قَالَ اللهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي، كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفْئًا أَحَدٌ)(٣).

قال النسفي في تفسير الآية: "أي أنا لم نعجز عن الخلق الأول؛ فكيف نعجز عن الثاني، والاعتراف بذلك اعتراف بالإعادة، {بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ} في خلط وشبهة، قد لبس عليهم الشيطان وحيَّرهم، وذلك تسويله إليهم أن إحياء الموتى أمر خارج عن

(١) استخراج الجدل من القرآن الكريم ص٩٢.

(٢) مفاتيح الغيب للرازي ١٧/ ١٩٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب قوله: (وامرأته حمالة الحطب)، رقم (٤٩٧٤).

العادة فتركوا لذلك الاستدلال الصحيح؛ وهو أن من قدر على الإنشاء كان على الإعادة أقدر"[١].

وفي الآية "تنكير الخلق الجديد؛ لتعظيم شأنه والإشعار بأنه على وجه غير متعارف ولا معتاد"[٢].

ثانيًا: قياس العلة:

قياس العلة هو الذي يتم فيه التصريح بالعلة.[٣]

قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ۝١٢ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ ۝١٣ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝١٤﴾ [ق:١٢-١٤].

وقياس العلة في هذه الآيات واضح وجلي، وهو أن الله تعالى أهلك قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون وقوم لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع بسبب تكذيبهم لرسلهم، فالعلة المنصوص عليها أن الإهلاك كان سببه التكذيب، ففيه تحذير للمشركين المكذبين لرسول الله ﷺ من إهلاك الله لهم وعقابهم بسبب تكذيبهم مثل ما أهلك هؤلاء الأقوام، فهؤلاء الأقوام هم الأصل، والمشركون الذين كذبوا رسول الله ﷺ هم الفرع، والعلة الجامعة هي تكذيب الرسل، والحكم هو الإهلاك والعقوبة[٤].

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: كل هؤلاء الذين ذكرناهم كذبوا رسل الله الذين أرسلهم، {فحق وعيد} [ق: ١٤] يقول: فوجب لهم الوعيد الذي وعدناهم على كفرهم بالله، وحلَّ بهم العذاب والنقمة، وإنما وصف ربنا جل ثناؤه ما وصف في هذه

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٣/ ٣٦٤، وانظر درء تعارض العقل والنقل ٧/ ٣٨٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ٣٩٧.

(٢) أنوار التنزيل للبيضاوي ٥/ ١٤٠.

(٣) انظر: شرح مختصر الروضة ٣/ ٢٢٣، معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة ص١٨٢.

(٤) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم ٢/ ٢٥٢.

الآية من إحلاله عقوبته بهؤلاء المكذبين الرسل ترهيباً منه بذلك مشركي قريش، وإعلاماً منه لهم أنهم إن لم ينيبوا من تكذيبهم رسوله محمداً ﷺ أنه مُحل بهم من العذاب مثل الذي أحلَّ بهم"(١).

ثالثًا: قياس الدلالة:

قياس الدلالة هو الذي لا تذكر فيه العلة نصاً، وإنما يذكر لازم من لوازمها، فيكون الجامع هو دليل العلة(٢).

قال الله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾ [ق:٩-١١].

ففي هذه الآية الكريمة يخاطب الله تعالى عباده مؤمنهم وكافرهم بما هو محسوس لديهم ومشاهد أمام أعينهم مرات ومرات ليقرب القيامة من أذهانهم، ويسهل تصور البعث لديهم، وقياس الدلالة في هذه الآية أيضاً واضح، حيث يقيس رب العزة والجلال إحياء الناس للبعث على إحياء الأرض بالنبات، فالأصل هو إحياء الأرض بالنبات والزرع، والفرع هو إحياء الناس للبعث، والعلة الموجبة هي عموم قدرة الله تعالى وكمال حكمته، ودليل العلة هو إحياء الأرض الميتة بالنبات والزرع، "وقد كَرَّر سبحانه ذكر هذا الدليل في كتابه مرارًا؛ لصحة مقدماته، ووضوح دَلَالته، وقُرْب تناوله، وبُعْده من كل معارضة وشُبْهة، وجَعَلَه تبصرةً وذكرى كما قال تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق:٧، ٨]"(٣).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: كما أنبتنا بهذا الماء هذه الأرض الميتة فأحييناها

(١) جامع البيان ٢١/ ٤١٩.
(٢) انظر: شرح مختصر الروضة ٣/ ٢٢٣، ومعالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة ص١٨٢.
(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين ٢/ ٢٦٤.

به، فأخرجنا نباتها وزرعها، كذلك نخرجكم يوم القيامة أحياء من قبوركم من بعد بلائكم فيها بما ينزل عليها من الماء"[١].

وقال المراغي: "وفي التعبير عن إخراج النبات من الأرض بالإحياء، وعن إحياء الموتى بالخروج: تفخيم لشأن الإنبات، وتهوين لأمر البعث، وتحقيق للمماثلة بين إخراج النبات وإحياء الموتى؛ لتوضيح منهاج القياس وتقريبه لأفهام الناس"[٢].

(١) جامع البيان ٢١/ ٤١٤، وانظر مدارك التنزيل للنسفي ٣/ ٣٦٣، والتحرير والتنوير لابن عاشور ٢٦/ ٢٩٤، وأضواء البيان للشنقيطي ٧/ ٦٨٤.

(٢) تفسير المراغي ٢٦/ ١٥٦.

المطلب الثاني: الإلزام بما يعرفه الخصم

من منهج القرآن الكريم في الرد على المخالفين: إلزامهم بما يعرفونه ويقرون به؛ ليأخذ بأيديهم إلى الصواب والحق.

والإلزام: هو جعل الخصم يذعن بقبول كلام خصمه لعجزه عن الاعتراض، أو بتعبير آخر: هو دفع كلام الخصم بتسليمه أن لكلامه لازماً يوافق على عدم صحته، فإلزام الإنسان بقول لا يسلمه إفحامٌ له بنتيجة لا يريدها(١).

قال الشاطبي: "وإذا كانت الدعوى لا بد لها من دليل، وكان الدليل عند الخصم متنازعاً فيه، فليس عنده بدليل؛ فصار الإتيان به عبثاً لا يفيد فائدة ولا يحصل مقصوداً، ومقصود المناظرة ردُّ الخصم إلى الصواب بطريق يعرفه؛ لأن رده بغير ما يعرفه من باب تكليف ما لا يطاق؛ فلا بد من رجوعهما إلى دليل يعرفه الخصم السائل معرفة الخصم المستدل، وعلى هذا النحو تجد احتجاجات القرآن؛ فلا يؤتى فيه إلا بدليل يقر الخصم بصحته شاء أم أبى"(٢).

ولمّا كذب الكفارُ رسولَ الله ﷺ في موضوع البعث بعد الموت للحساب، فقالوا: {أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ} ؛ رد الله تعالى عليهم وألزمهم بما يعرفونه في ثلاثة أمور: بما يعرفونه من آيات الله الكونية وبديع خلقه، وإحياء الأرض بالنبات، وخلقه للإنسان ابتداء على غير مثال سابق.

وتفصيلها كالآتي:

أولًا: الإلزام بما يعرفه الخصم من آيات الله الكونية وبديع خلقه.

قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ ﴾ [ق:٦-٨].

(١) انظر: الكافية في الجدل للجويني ص٧٠، وعلم الجدل والمناظرة أ.د. سعد الشثري ص٤٢.
(٢) الموافقات ٥/ ٤١٥-٤١٦ بتصرف يسير.

ففي هذه الآيات الكريمة ردَّ الله -سبحانه وتعالىٰ- علىٰ هؤلاء المكذبين للمعاد بتوجيههم إلىٰ التفكر والتأمل والنظر في آياته الكونية الباهرة وعظيم خلقه وبديع صنعه، وأن هذه الآيات أعظم من خلق الإنسان نفسه فضلاً عن إعادة بعثه بعد موته، وهذا الأمر معروف لديهم، فيكون إعادة بعث الإنسان أيسر وأسهل علىٰ الله تعالىٰ -وكل الأمور علىٰ الله يسيرة-، فهذا الأمر يُلزمهم بالإيمان بالبعث بعد الموت للحساب.

قال ابن تيمية: "ومن المستقر في بدائه العقول أن خلق السماوات والأرض أعظم من خلق الآدميين، فإذا كان فيها من الدلالة علىٰ علم خالقها وقدرته وحكمته ما بهر العقل، أفلا يكون ذلك دالاً علىٰ أنه قادر علىٰ إحياء الموتىٰ؟! لا يعي بذلك كما لم يعي بالأول بطريق الأولىٰ والأخرىٰ"(١).

وقال ابن كثير: "يقول تعالىٰ منبهـًا للعباد علىٰ قدرته العظيمة التي أظهر بها ما هو أعظم مما تعجبوا مستبعدين لوقوعه: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا ﴾ ... الآيات، ومشاهدة خلق السماوات والأرض وما جعل الله فيهما من الآيات العظيمة تبصرة ودلالة وذكرىٰ لكل عبد منيب، أي: خاضع خائف وجل رجاع إلىٰ الله ﷻ"(٢).

فهذه الدلالات الظاهرة والمشاهدة بالحس قريبة من الأفهام، وفيها نفع عظيم في تسكين النفوس الثائرة والحائرة، وغرس الاعتقادات الجازمة في القلوب، وفيها إفحام وإلزام لكل عنيد لا يذعن للحق.

فخلق السماوات الفسيحة بلا عمد ولا تفطر ولا شقوق، وتزيينها بالكواكب البديعة، وبسط الأرض العظيمة، وما فيها من جبال رواسي علىٰ ما هو مشاهد لكل ذي عين: أعظم من خلق الإنسان كما قال الله تعالىٰ: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾[غافر:٥٧]، فلا يعجزه إعادة بعث الإنسان بعد الموت كما قال

(١) درء تعارض العقل والنقل ٧/ ٣٨١.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٧/ ٣٩٦ بتصرف.

تعالىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحقاف:٣٣]، فيلزم أن يؤمن المكذب بالبعث بما أنه يؤمن بأن الله هو خالق السماوات والأرض وما فيهما.

ثانيًا: الإلزام بما يعرفه الخصم من إحياء الأرض بالنبات.

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾ [ق:٩-١١].

في هذه الآيات يحتج الله تعالىٰ علىٰ الإنسان المكذب ويستدل عليه بما يعرفه من عظمة الخالق وإحيائه الأرض بالنبات بعد موتها، وهو ما يعرفه ويسلم به هذا المكذب، ويقيس عليه إحياء الإنسان بعد موته للبعث، فكما أنه يحيي الأرض بعد موتها؛ فهو تعالىٰ قادر علىٰ إحياء الإنسان بعد موته وبعثه للحساب، فيلزمه الإيمان بالبعث كما أنه مؤمن بأن الله يحيي الأرض بالنبات، وقد وضحت هذه المسألة في قياس الدلالة.

قال ابن عاشور: "أي كما أحيينا الأرض بعد موتها كذلك نحيي الناس بعد موتهم وبلاهم"(١).

ثالثًا: الإلزام بما يعرفه من خلق الله للإنسان ابتداء

قال الله تعالىٰ: ﴿ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [ق:١٥].

في هذه الآية الكريمة يلزم الله تعالىٰ المكذب بالبعث بالإيمان به لما يَعرِف من قدرة الله العظيمة وخلق الإنسان الأول ابتداء علىٰ غير مثال سابق، فمن خلق الإنسان أولاً فهو علىٰ إعادة خلقه بعد موته أقدر وهو عليه أهون -وكل الأمور علىٰ الله هينة- كما قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم:٢٧]، وقد وضحت هذا الدليل في قياس الأولىٰ.

(١) التحرير والتنوير ٢٦/ ٢٩٤.

المطلب الثالث: الاستدلال باختلال الخصم.

من طرق الاستدلال القرآن في هذه السورة الكريمة في رده على المخالفين: استدلاله باختلال الخصم واختلاف أقواله في المسألة، قال الله تعالىٰ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ۝٥﴾ [ق:٥].

في هذه الآية الكريمة يبين الله تعالىٰ تكذيب المشركين للقرآن الكريم وما فيه من بينات لما جاءهم به الرسول ﷺ، ويقرر اضطرابهم وعدم ثباتهم علىٰ دعوىٰ محددة بشأنه، فمرة يقولون عن القرآن: سحر، ومرة يقولون: شعر، ومرة يقولون: مفترىٰ، ومرة يقولون عن النبي ﷺ: ساحر، ومرة يقولون: شاعر، ومرة يقولون: معلم، وهذا اختلال والتباس واشتباه عندهم، فتكذيبهم لا يرتكز علىٰ بينة واضحة، وهذا دليل علىٰ بطلان قولهم؛ لأن الباطل يتشعب، والحق واحد.

قال البقاعي: "{فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ}: أي مضطرب جداً مختلط، من المرج وهو اختلاط النبت بالأنواع المختلفة، فهم تارة يقولون: سحر، وتارة كهانة، وتارة شعر، وتارة كذب، وتارة غير ذلك، والاضطراب موجب للاختلاف، وذلك أدل دليل علىٰ الإبطال، كما أن الثبات والخلوص موجب للاتفاق، وذلك أدل دليل علىٰ الحقيقة"[1].

ومثله قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ۝٨﴾ [الذاريات:٨]، أي أقوال متناقضة، فتارة تقولون ساحر، وتارة تقولون شاعر، وتارة تقولون مجنون، وتارة تقولون كاذب، ونحوها من الأقوال.

وهذا الاضطراب والاختلاف يدل علىٰ بطلان ما هم عليه من الاعتقاد، قال السعدي: "﴿إِنَّكُمْ﴾ أيها المكذبون لمحمد ﷺ ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ۝٨﴾ : منكم من يقول: ساحر، ومنكم من يقول: كاهن، ومنكم من يقول: مجنون، إلىٰ غير ذلك من

---

(١) نظم الدرر ١٨/ ٤٠٧.

الأقوال المختلفة، الدالة علىٰ حيرتهم وشكهم، وأن ما هم عليه باطل"(١).

وقال ابن عاشور: "والمقصود بقوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨﴾: الكناية عن لازم الاختلاف وهو التردد في الاعتقاد، ويلزمه بطلان قولهم؛ وذلك مصب التأكيد بالقسم وحرف (إنّ) واللام"(٢).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٨٠٨.

(٢) التحرير والتنوير ٢٦/ ٣٤٢.

المطلب الرابع: التدلي في الاستدلال من الأعظم للأدنى

قال الله تعالىٰ: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦
وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨
وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا
لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١ ﴾ [ق:٦-١١].

هذه الآيات القرآنية فيها تدلي في الاستدلال من الأعظم إلىٰ الأدنىٰ، وهذا أحد أساليب القرآن الكريم في الاستدلال[١]، فابتدأ أولاً عند ذكر الردود العقلية علىٰ البعث بذكر السماء ثم الأرض ثم النبات؛ فالسماء أعظم من الأرض، والأرض أعظم من النبات.

فعند المحاجة والمجادلة يُقدم من الأدلة الأقوىٰ فالقوي ثم الأدنىٰ، وأحيانـًا العكس وهو الترقي إذا اقتضىٰ المقام ذلك.

وقد قدمت توضيح ما يتعلق بهذه الآيات فيما سبق عند الحديث عن الإلزام بما يعرفه الخصم من آيات الله الكونية وبديع خلقه.

---

(١) انظر: الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ٣/ ٤٦.

المطلب الخامس
الاستدلال بالمآلات وبيان العاقبة ترغيباً وترهيباً

من أساليب القرآن الكريم في مجادلة المخالفين والرد عليهم: تذكيرهم بمآلات وعواقب المكذبين في الدنيا والآخرة، وفي هذا تهديد وترهيب لهم من الاستمرار على التكذيب، وكذلك من أساليبه بيان جزاء المصدقين في الدنيا والآخرة، وفي هذا ترغيب لهم بتصديق الرسل واتباع الحق، "والترغيب والترهيب يفيض بهما بحر الكتاب والسنة، ولا ريب أن غريزة حب الإنسان لنفسه تدفعه إلى أن يحقق لها كل خير، وأن يحميها من كل شر، سواء ما كان فيهما من عاجل وما كان من آجل"(١).

وهذا الترغيب والترهيب قد يكون عن طريق الوعد والوعيد، وقد يكون عن طريق القصص القرآني ببيان ما أعده الله للمصدقين وما أعده للمكذبين، وقد بيّن ابن عاشور أن من مقاصد القرآن الكريم: "القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم؛ قال: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [يوسف:٣]، ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام:٩٠]، وللتحذير من مساويهم؛ قال: ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ﴾ [إبراهيم:٤٥]، وفي خلالها تعليم"(٢).

قال ابن كثير: "كثيراً ما يقرن الله تعالى بين الترغيب والترهيب في القرآن، فتارة يدعو عباده إليه بالرغبة وصفة الجنة والترغيب فيما لديه، وتارة يدعوهم إليه بالرهبة وذكر النار وأنكالها وعذابها والقيامة وأهوالها، وتارة بهذا وبهذا؛ لينجع في كل بحسبه"(٣).

ويؤكد ابن عاشور هذا الأمر فيقول: "عادة هذا الكتاب المجيد مداواة النفوس

(١) مناهل العرفان للزرقاني ١/ ٣٠٨.
(٢) التحرير والتنوير، المقدمة الرابعة ١/ ٤١.
(٣) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٣٨٥ بتصرف يسير.

بمزيج الترغيب والترهيب"[١].

وفي هذه السورة الكريم ذكّر الله تعالىٰ بمآلات وعاقبة التكذيب والمكذبين في الدنيا، وعاقبتهم في الآخرة، وبيان جزاء المصدقين المطيعين في الآخرة، وفيما يأتي تفصيل ذلك:

أولًا: بيان عاقبة المكذبين في الدنيا.

قال الله تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ۝١٢ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۝١٣ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝١٤﴾ [ق:١٢]-١٤].

بيّن الله تعالىٰ في هذه الآيات سوء العاقبة لمن كذب الرسل، وأن الله تعالىٰ استأصلهم وعاقبهم في الدنيا والآخرة بسبب كفرهم وتكذيبهم لرسلهم، وفي هذا تهديد للمشركين في حال استمرارهم علىٰ تكذيب نبينا محمد ﷺ.

قال ابن عاشور: "وهذه الأمم أصابها عذاب شديد في الدنيا عقابًا علىٰ تكذيبهم الرسل، والمقصود تسلية رسول الله ﷺ، والتعريض بالتهديد لقومه المكذبين أن يحل بهم ما حل بأولئك"[٢].

وقال الله تعالىٰ في نهاية السورة مؤكداً علىٰ هذا الأمر: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ۝٣٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧﴾ [ق:٣٦-٣٧].

لما هدد الله تعالىٰ المشركين بذكره إهلاكه لبعض الأمم بسبب تكذيبهم لرسلهم؛ بيّن تعالىٰ أن إهلاك المكذبين للرسل لا يختص بمن ذكر من الأمم السابقة، وإنما يعم جميع الأزمان وجمع الأمم.

قال البقاعي: "المراد تعميم الإهلاك في جميع الأزمان لجميع الأمم"[٣].

---

(١) التحرير والتنوير ٢٤/ ٣٩.

(٢) المصدر السابق ٢٦/ ٢٩٦.

(٣) نظم الدرر ١٨/ ٤٣٤.

وقال ابن عاشور: "انتقال من الاستدلال إلى التهديد، وهو معطوف على ما قبله، وهذا العطف انتقال إلى الموعظة بما حل بالأمم المكذبة بعد الاستدلال على إمكان البعث بقوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ [ق: ٤]، وما فرع عليه من قوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ [ق: ١٥]، وفي هذا العطف الوعيد الذي أجمل في قوله: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾﴾ إلى قوله: ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [ق: ١٢-١٤]، فالوعيد الذي حق عليهم هو الاستئصال في الدنيا، وهو مضمون قوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾"[١].

ثانيًا: بيان عاقبة المكذبين في الآخرة.

قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ [ق:١٩-٣٠].

يبيّن الله تعالى في هذه الآيات ما أعده تعالى للمكذبين من العذاب الشديد في الآخرة بسبب تكذيبهم الرسول ﷺ وعدم إيمانهم به وما جاء به من العقائد والشرائع لاسيما الإيمان بالبعث والحساب؛ لترهيبهم وتنفيرهم من تكذيبه ﷺ ومعصيته.

وقدّم الله تعالى ذكر العقاب قبل الثواب؛ لأن المقام مقام إنذار وترهيب[٢].

قال أبو السعود: "بعدما ذكر استبعادهم للبعث والجزاء، وأزيح ذلك بتحقيق قدرته تعالى وعلمه، وبيّن أن جميع أعمالهم محفوظة مكتوبة عليهم؛ أتبع ذلك ببيان ما يلاقونه لا محالة من الموت والبعث، وما يتفرع عليه من الأحوال

(١) التحرير والتنوير ٢٦/ ٣٢٢.

(٢) انظر: نظم الدرر ١٨/ ٤٣١.

والأهوال، وقد عبَّر عن وقوع كل منها بصيغة الماضي إيذانًا بتحقيقها وغاية اقترابها"(١).

ثالثًا: بيان جزاء المصدقين في الآخرة.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق:٣١-٣٥].

يبيّن الله تعالىٰ في هذه الآيات ما أعده تعالىٰ للمؤمنين من نعيم مقيم يوم القيامة بسبب إيمانهم برسوله محمد ﷺ والتصديق بكل ما جاء به؛ لترغيبهم بتصديقه ﷺ وطاعته.

قال المراغي: "ذكر تعالىٰ حال المتقين، فذكر أن الجنة تكون قريبة منهم بحيث يرونها رأىٰ العين، فتطمئن إليها نفوسهم وتثلج لمرآها صدورهم، ويقال لهم: هذا هو الثواب الذي وُعدتم به علىٰ ألسنة الأنبياء والرسل، وهو دائم لا نفاد له ولا حصر، فكل ما يريدون من لذة ونعيم فهو حاضر، ولهم فوق هذا رضوان من ربهم، ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة:٧٢]"(٢).

وما سبق إيراده من ترغيب وترهيب هو لبعث النفس علىٰ التفكر والاتعاظ والاهتداء، فهو أمر مقصود لغيره لا لذاته؛ ولذا قال ربنا تبارك وتعالىٰ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.

(١) إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم ٨/ ١٢٩.
(٢) تفسير المراغي ٢٦/ ١٦٦ بتصرف يسير.

المبحث الثاني: الآداب الشرعية في الرد على المخالفين.

يجب على الداعية إلى الله تعالى أن يتحلى بجملة من الآداب الشرعية أثناء رده على المخالفين ومجادلته لهم، وقد تضمنت سورة (ق) بعضاً من هذه الآداب، وهي: المجادلة بالعلم، والصبر على الأذى، والاستعانة بأداء العبادات، واستحضار أن الهداية بيد الله تعالى، والاستمرار في الدعوة إلى الله تعالى.

وتفصيلها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: المجادلة بالعلم

في هذه السورة الكريمة كل الردود الربانية على المخالفين في عقيدة البعث والجزاء مبنية على علم الله الذي وسع كل شيء، وقد أكّد الله تعالى على قضية العلم أثناء الرد على المخالفين.

- قال الله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾ [ق: ٤].

ففي هذه الآية الكريمة يؤكد الله تعالى على قضية العلم أثناء مجادلته للمشركين المنكرين للبعث، قال ابن عاشور: "فأساس مبنى الرد هو عموم علم الله تعالى؛ لأنه يجمع إبطال الاحتمالات التي تنشأ عن شبهتهم، فلو قال: نحن قادرون على إرجاع ما تنقص الأرض منهم؛ لخطر في وساوس نفوسهم شبهة أن الله وإن سلمنا أنه قادر فإن أجزاء الأجساد إذا تفرقت لا يعلمها الله حتى تتسلط على جمعها قدرته، فكان البناء على عموم العلم أقطع لاحتمالاتهم"(١).

- وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

لما استدلَّ سبحانه على إمكان البعث بقوله: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾؛ أردف ذلك دليلًا آخر على إمكانه، وهو علمه بما في صدورهم، وعدم خفاء شيء من أمرهم

(١) التحرير والتنوير ٢٦/ ٢٨١.

عليه، فإنَّ من كان كذلك لا يبعد أن يعيدهم كرةً أخرىٰ، ثم أخبر بأنهم سيعلمون بعد الموت أنّ ما جاء به الدين حقّ لا شكّ فيه(١).

– وقال الله تعالىٰ: ﴿ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ [ق: ٤٥].

وفي هذه الآية الكريمة يؤكد الله تعالىٰ علىٰ علمه بكل ما يقوله هؤلاء المكذبون، وكل ما يحتج به أولئك من حجج واهية، فلذلك كانت الردود القرآنية مفحمة ودامغة لهم؛ لأنها ممن وسع علمه كل شيء، قال ابن كثير: "أي: نحن علمنا محيط بما يقول لك المشركون من التكذيب فلا يهولنَّك ذلك"(٢).

فلابد للإنسان إذا أراد أن يرد علىٰ المخالفين أن يكون عالمـًا بما يتكلم به، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾ [الإسراء: ٣٦]، فالإنسان منهي عن القول في دين الله تعالىٰ بلا علم، وسيُسأل عن ذلك يوم القيامة.

وقد بيّن الله تعالىٰ أن القول عليه بلا علم من أشد المحرمات؛ فقال تعالىٰ: ﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣].

قال ابن القيم: "فرتب المحرمات أربع مراتب، وبدأ بأسهلها وهو الفواحش، ثم ثنىٰ بما هو أشد تحريمًا منه وهو الإثم والظلم، ثم ثلث بما هو أعظم تحريمًا منهما وهو الشرك به سبحانه، ثم ربع بما هو أشد تحريمًا من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم، وهذا يعم القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي دينه وشرعه"(٣).

وقال الله تعالىٰ لرسوله ﷺ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥].

فيأمر الله تعالىٰ رسوله بدعوة الخلق إلىٰ الحق بالحكمة، ومن الحكمة الدعوة

(١) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ٢٧/ ٤٢٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٧/ ٤١٢.

(٣) إعلام الموقعين ٢/ ٧٣.

بالعلم لا بالجهل، والبداءة بالأهم فالمهم، وبالأسلوب الأمثل، وكذلك يدعوهم بالموعظة الحسنة وهي الدعوة المقترنة بالترغيب والترهيب، وكذلك مجادلة المعاندين بالحسنى، ومن الجدال بالحسنى الجدال بالعلم والرفق واللين، والاحتجاج بالأدلة التي يعتقدها؛ فإن ذلك أقرب لحصول المقصود واستجابته عقلاً ونقلاً[(١)].

وقد أنكر الله تعالى على من يجادل بلا علم؛ فقال تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [آل عمران:٦٦].

قال أبو الوليد الباجي: "وقد نطق الكتاب بالمنع من الجدل لمن لا علم له، والحظر على من لا تحقيق عنده؛ فقال تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ ﴾ [آل عمران: ٦٦]، وقد ورد الأمر به لمن علم وأتقن؛ فقال تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل: ١٢٥] "[(٢)].

فالمجادلة بعلم من أهم أركان الرد على المخالفين، والرد على المخالفين من مقامات الدعوة الشريفة التي تتطلب العلم الشرعي، ولا يمكن أن تؤتي ثمارها ويحصل نفعها بلا علم.

قال ابن القيم: "وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها، فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، ولا بد من كمال الدعوة من البلوغ في العلم على حد يصل إليه السعي"[(٣)].

---

(١) انظر: الكشاف للزمخشري ٢/ ٦٤٤، وأنوار التنزيل للبيضاوي ٣/ ٢٤٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٦١٣، وتيسير الكريم الرحمن ص٤٥٢.
(٢) المنهاج في ترتيب الحجاج ص٨.
(٣) مفتاح دار السعادة ١/ ١٥٤.

المطلب الثاني: الصبر على الأذى

أثناء مجادلة العالم الداعية المسلم للمخالفين والرد عليهم، لابد أن يناله أذىٰ منهم، أو ضيق من عدم قبولهم الحق، أو سآمة وملل لطول فترة إعراضهم وعدم قبولهم للحق، فلا بد أن يتسلح الداعية بالصبر، فقد أمر الله تعالىٰ نبيه محمداً ﷺ بالصبر في آيات عديدة من القرآن الكريم، ومن ذلك ما جاء في هذه السورة الكريمة، وهو قول الله تعالىٰ: ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ [ق: ٣٩]، أي اصبر علىٰ أذىٰ المشركين وتكذيبهم.

قال القرطبي: "خطاب للنبي ﷺ أمرَه بالصبر علىٰ ما يقوله المشركون، أي: هوّن أمرهم عليك"(١).

وقال ابن عاشور: "تفريع علىٰ ما تقدم كله من قوله: ﴿ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ ﴾ [ق: ٢] الآيات، ومناسبة وقعه هذا الموقع ما تضمنه قوله: ﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ ﴾ [ق: ٣٦] الآية من التعريض بتسلية النبيء ﷺ، أي: فاصبر علىٰ ما يقول المشركون من التكذيب بما أخبرتهم من البعث وبالرسالة، وقد جمع ذلك كله الموصول وهو ﴿مَا يَقُولُونَ﴾، وضمير ﴿يَقُولُونَ﴾ عائد إلىٰ المشركين الذين هم المقصود من هذه المواعظ والنذر ابتداء من قوله: ﴿ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ ﴾"(٢).

ورسولنا محمد ﷺ قدوتنا في هذا الأمر، فقد رد علىٰ المخالفين من الكفار وناله من الأذىٰ الكثير ما ناله، وصبر واستمر في دعوته صابراً محتسباً حتىٰ مكّنه الله تعالىٰ، ومكّن دينه الذي كان ينافح عنه ويجاهد في نشره، وجاءت آيات كثيره في القرآن الكريم تسليه وتأمره بالصبر اقتداء بالأنبياء الكرام عليهم السلام الذين صبروا فكانت العاقبة لهم، ومن ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف:

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٤٦٠
(٢) التحرير والتنوير ٢٦/ ٣٢٦.

٣٥]، فيأمره تعالىٰ بالاقتداء بأولي العزم من الرسل في صبرهم علىٰ الأذىٰ الذي نالهم بسبب ردودهم ودعوتهم للمخالفين من الكفار، فهم صبروا علىٰ أذية أقوامهم، واستمروا في دعوتهم رغم عظم الأذىٰ والتكذيب، فلم يثنهم أذىٰ أقوامهم عن دعوتهم إلىٰ الله تعالىٰ والاستمرار عليها والرد علىٰ باطلهم، فكانت العاقبة لهم، وهذا يدل علىٰ أن الصبر مع الاستمرار في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ والرد علىٰ المخالفين وبيان الحق لهم هو من صميم صفات الأنبياء والمرسلين، وكذلك يجب أن يكون كل من قام مقام الأنبياء عليهم السلام في واجب الدعوة والإنذار من العلماء والدعاة إلىٰ الله تعالىٰ.

قال المراغي في تفسير الآية: "أي فاصبر أيها الرسول علىٰ ما أصابك في الله من أذىٰ مكذبيك من قومك الذين أرسلناك إليهم منذرًا، كما صبر أولو العزم من الرسل علىٰ القيام بأمر الله والانتهاء إلىٰ طاعته، والخلاصة: اصبر علىٰ الدعوة إلىٰ الحق ومكابدة الشدائد كما صبر إخوانك الرسل من قبلك"[1].

(١) تفسير المراغي ٢٦/ ٤٠.

المطلب الثالث: الاستعانة بأداء العبادات

قال الله تعالىٰ: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ ﴾ [ق:٣٩-٤٠].

يأمر الله تعالىٰ نبيه ﷺ بالاستعانة في دعوته للحق المبين بالصبر علىٰ أذىٰ الكفار وأداء العبادات التي من أجلها الصلاة، فإن هذين الأمرين من أعظم الوسائل المعينة علىٰ الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ.

قال القاسمي: "والمراد بالتسبيح إما ظاهره وهو قرين التحميد، أو هو الصلاة، من إطلاق الجزء أو اللازم علىٰ الكل أو الملزوم، فالصلاة قبل الطلوع: الصبح، وقبل الغروب: الظهر والعصر، ومن الليل: العشاءان والتهجد، وأدبار السجود: النوافل بعد المكتوبات"(١).

وقال الشنقيطي: "أمر الله تعالىٰ نبيه ﷺ بالصبر علىٰ ما يقوله الكفار، والتسبيح بحمده -جل وعلا- أطراف النهار، وأمره له بالتسبيح بعد أمره له بالصبر علىٰ أذىٰ الكفار: فيه دليل علىٰ أن التسبيح يعينه الله به علىٰ الصبر المأمور به، والصلاة داخلة في التسبيح المذكور"(٢).

فالزاد الإيماني من أعظم ما يستعين به العالم والداعية إلىٰ الله تعالىٰ، فهو من أهم مقومات نجاح الداعية إلىٰ الله تعالىٰ في دعوته، فهو يدعو الناس إلىٰ عبادة الله وطاعته والتقرب إليه، فلأن يلتزم هو بذلك أولىٰ وأحرىٰ.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [البقرة:٤٣- ٤٥].

فيأمر الله تعالىٰ في هذه الآيات بأداء العبادات التي من أعظمها الصلاة والزكاة

---

(١) محاسن التأويل ٩/ ٣١.

(٢) أضواء البيان ٧/ ٦٩٤-٩٦٥ بتصرف يسير.

بعد توحيده تعالىٰ والإيمان به، ويذم تعالىٰ ويوبّخ الذين يدلون الناس إلىٰ الخير ويأمرونهم به وهم لا يطبقون ما يدعون إليه ناسين أنفسهم من هذه الأوامر، وبيّن تعالىٰ أن هؤلاء لا ينتفعون بعقولهم، فهم يدلون غيرهم إلىٰ الخير ولا يأخذون أنفسهم إليه، وأمر الله سبحانه وتعالىٰ بالاستعانة بالصبر والصلاة في أمور الدين والدنيا، فالصلاة والصبر هما كجناحي الطائر بالنسبة إلىٰ العالم الداعية إلىٰ الله تعالىٰ؛ ولذلك كثيراً ما يقرن الله بينهما.

وقال الله تعالىٰ في آية أخرىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [البقرة:١٥٣].

قال السعدي: "أمرهم الله أن يستعينوا في أمورهم كلها بالصبر بجميع أنواعه، وهو الصبر علىٰ طاعة الله حتىٰ يؤديها، والصبر عن معصية الله حتىٰ يتركها، والصبر علىٰ أقدار الله المؤلمة فلا يتسخطها، فبالصبر وحبس النفس علىٰ ما أمر الله بالصبر عليه معونة عظيمة علىٰ كل أمر من الأمور، ومن يتصبر يصبره الله، وكذلك الصلاة التي هي ميزان الإيمان، وتنهىٰ عن الفحشاء والمنكر، يستعان بها علىٰ كل أمر من الأمور"(١).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٥١، وانظر المصدر نفسه ص٧٤.

المطلب الرابع: استحضار أن الهداية بيد الله تعالى

قال الله تعالىٰ: ﴿ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ ﴾ [ق: ٤٥].

يقرّر الله تعالىٰ علمه الواسع بكل ما يقوله هؤلاء المكذبون من إنكارهم لنبوة محمد ﷺ وتكذيبهم بالبعث والجزاء، ويؤكد تعالىٰ علىٰ أن الرسول ﷺ غير مسؤول عن هدايتهم؛ لأنه لا يملك إجبار الناس علىٰ الهداية، فهي بيد الله تعالىٰ وحده، وإنما وظيفة الأنبياء هي البلاغ والتذكير فحسب، وغيرهم من العلماء والدعاة إلىٰ الله من باب أولىٰ.

قال مكي بن أبي طالب: "أي: نحن أعلم يا محمد بما يقول هؤلاء المشركون من كذبهم علىٰ الله سبحانه، وتكذيبهم بآياته، وإنكارهم للبعث، ولست يا محمد بمسلَّط علىٰ أن تجبرهم علىٰ الإيمان، إنما أنت منذر"(١).

وقال ابن عاشور: "تطمين للرسول ﷺ بأنه غير مسؤول عن عدم اهتدائهم؛ لأنه إنما بعث داعيًا وهاديًا، وليس مبعوثًا لإرغامهم علىٰ الإيمان، والجبار مشتق من جبره علىٰ الأمر بمعنىٰ أكرهه"(٢).

فعلىٰ العلماء والدعاة إلىٰ الله تعالىٰ أن يستحضروا هذا المعنىٰ جيداً بأن الهداية بيد الله وحده، فمن لم يهده الله فلا هادي له، ولا يمكن لأحد أن يجبره علىٰ الإيمان أو قبول الحق، قال الله تعال لنبيه ﷺ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦]، فهو ﷺ رسول رب العالمين، وأحب خلق الله تعالىٰ إلىٰ الله، ومع ذلك لا يملك هداية أحب الناس وأقربهم إليه؛ لأن الهداية بيد الله وحده يرزقها من يشاء، ووظيفة المرسلين إنما هي البلاغ والبيان فقط، والعلماء والدعاة إلىٰ الله تعالىٰ من باب أولىٰ لا يملكون هداية الناس، وإنما فقط يقومون

(١) الهداية إلىٰ بلوغ النهاية ١١/ ٧٠٦٦.

(٢) التحرير والتنوير ٢٦/ ٣٣٣.

بوظيفة الأنبياء وهي الدعوة والبلاغ والبيان.

قال السعدي: "يخبر تعالىٰ أنك يا محمد -وغيرك من باب أولىٰ- لا تقدر علىٰ هداية أحد، ولو كان من أحب الناس إليك، فإن هذا أمر غير مقدور للخلق؛ هداية التوفيق وخلق الإيمان في القلب، وإنما ذلك بيد الله سبحانه تعالىٰ، يهدي من يشاء، وهو أعلم بمن يصلح للهداية فيهديه، ممن لا يصلح لها فيبقيه علىٰ ضلاله، وأما إثبات الهداية للرسول في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾؛ فتلك هداية البيان والإرشاد، فالرسول يبين الصراط المستقيم، ويرغِّب فيه، ويبذل جهده في سلوك الخلق له، وأما كونه يخلق في قلوبهم الإيمان، ويوفقهم بالفعل، فحاشا وكلا"(١).

وقد أكّد الله تعالىٰ هذا المعنىٰ في آيات كثيرة، منها قوله تعالىٰ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغاشية:٢١-٢٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة.

قال المراغي: "إنما بعثت للتذكير فحسب وليس من الواجب عليك أن يؤمنوا، فما عليك إلا التبشير والتحذير، ثم أكد الإنذار وقرره بقوله: {لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ} أي لست عليهم بمسلط تجبرهم علىٰ ما تريد، وتتعهد أحوالهم، وتكتب أعمالهم، فلم نؤت قوة الإكراه علىٰ الإيمان، والإلجاء إلىٰ ما تدعوهم إليه كما قال: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾"(٢).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٦٢٠.

(٢) تفسير المراغي ٣٠/ ١٣٩ بتصرف يسير.

المطلب الخامس: الاستمرار في الدعوة إلى الله تعالى

ختم الله تعالىٰ هذه السورة الكريمة بقوله: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥].

فيأمر الله تعالىٰ رسوله ﷺ بالاستمرار في دعوته وتذكيره، بعد مجادلة عقلية محكمة مع المشركين في موضوع البعث واستمرار تكذيبهم؛ لأن وظيفة الداعية إلىٰ الله تعالىٰ هي الدعوة والتذكير والنصح، فهي مستمرة معه لا تنتهي بتكذيب المكذبين، ولا عناد المخالفين.

قال القاسمي: "أي: إنما بعثت مذكراً ومبلغــاً، فذكر بما أنزل إليك من يخاف الوعيد الذي أوعد به من عصىٰ وطغىٰ، فإنه ينتفع به"(١).

وقد خصص الله تعالىٰ التذكير هنا بمن يخاف وعيد الله تعالىٰ، وإن كانت وظيفة النبي ﷺ تذكير جميع الناس مؤمنهم وكافرهم، مصدقهم ومكذبهم؛ لأنه أراد التذكير الذي ينفع المتذكر، وأنه لما لم ينتفع بالقرآن الكريم إلا المؤمنون؛ فكأنه لم يخوف بالقرآن إلا هم، وأما المكذب فهذا فائدة تذكيره إقامة الحجة عليه لئلا يقول: ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖ﴾ [المائدة: ١٩](٢).

قال السمعاني: "وقوله: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ أي: عظ بالقرآن من يخافني، فإن قيل: أليس يوعظ بالقرآن الكافر والمؤمن جميعًا، فكيف معنىٰ قوله: ﴿مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾، والكافر لا يخاف وعيد الله؟ والجواب: أنه لما لم ينتفع بالقرآن إلا المؤمن؛ فكأنه لم يخوف بالقرآن إلا المؤمنون، والله أعلم"(٣).

وقال ابن عاشور: "خص التذكير هنا بالمؤمنين؛ لأنه أراد التذكير الذي ينفع المذكر، فالمعنىٰ: فذكر بالقرآن فيتذكر من يخاف وعيد"(٤).

---

(١) محاسن التأويل ٩/ ٣٢.

(٢) انظر: تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني ٥/ ٢٤٨، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٩٦٠، والتحرير والتنوير لابن عاشور ٢٦/ ٣٣٣.

(٣) تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني ٥/ ٢٤٨.

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٦/ ٣٣٣.

فينبغي على العالم والداعية إلى الله تعالى الذي يرشد وينصح أو يرد على المخالفين ويدعوهم إلى الحق أن يستمر في دعوته، ولا يكل ولا يمل أثناء دعوته بسبب إعراض المخالفين أو مجادلتهم له أو نيله الأذى منهم أو لغيرها من الأسباب، وإنما يستمر في تذكيره ونصحه وإرشاده، فهذا إمام الدعاة إلى الله رسولنا ﷺ لقى الأذى الكثير من المشركين والكفار والمنافقين فصبر واستمر في دعوته إلى آخر حياته، ولنا فيه ﷺ قدوة حسنة؛ قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فالأذى الذي يصيب العالم والداعية إلى الله تعالى بسبب دعوته إلى الحق ورده على المخالفين والمعاندين لا ينبغي أن يكون سبباً للتوقف عن الدعوة إلى الحق أو الملل أو الكسل، بل ينبغي أن يكون دافعاً لبذل المزيد من الجهد في الدعوة إلى الحق والاستمرار في ذلك.

❊ ❊ ❊

الخاتمة

أحمد الله ﷻ على إتمام هذا البحث، وقد حاولت استخلاص منهج القرآن الكريم في الرد على المخالفين من خلال سورة (ق) مستعيناً بالله تعالى ثم بكلام العلماء والمفسرين، ولا أدعي الكمال فيه، فالكمال لكتاب الله وحده.

وأبرز ما توصل إليه البحث من نتائج:

١. أهمية الرد على المخالفين ودعوتهم وبيان الحق لهم؛ فالقرآن الكريم مليء بذلك.

٢. أبرز ما عنيت به سورة (ق) هو الاهتمام بجانب العقيدة وتصحيحها عند المخالفين، خاصة في موضوع البعث بعد الموت.

٣. من أبرز طرق الاستدلال في الرد على المخالفين في سورة (ق): الاستدلال بالقياس، والإلزام بما يعرفه الخصم، والاستدلال باختلال الخصم، والتدلي في الاستدلال من الأعلى إلى الأدنى، والاستدلال بالمآلات وبيان العاقبة.

٤. من الآداب الشرعية في الرد على المخالفين التي تناولتها سورة (ق): المجادلة بالعلم، والصبر على الأذى، والاستعانة بأداء العبادات، واستحضار أن الهداية بيد الله تعالى، والاستمرار في الدعوة إلى الله تعالى.

ومن أبرز ما يوصي به الباحث:

البحث في طرق الاستدلال القرآني، وكذلك في منهج الأنبياء الكرام في ردودهم على أقوامهم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❋ ❋ ❋

المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

٢. استخراج الجدل من القرآن الكريم، لعبدالرحمن بن نجم ابن الحنبلي، تحقيق: د. زاهر الألمعي، مطابع الفرزدق التجارية- الرياض، ط٢، ١٤٠١هـ.

٣. أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة، د. حمد إبراهيم العثمان، مكتبة ابن القيم- الكويت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي، دار عالم الفوائد- مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٦هـ.

٥. إعلام الموقعين عن رب العالمين، لمحمد ابن قيم الجوزية، تحقيق: مشهور حسن سلمان، دار ابن الجوزي- الدمام، ط١، ١٤٢٣هـ.

٦. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لعبدالله بن عمر البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٧. البحر المحيط في أصول الفقه، لمحمد بن بهادر الزركشي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، ط٢، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٨. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية- بيروت.

٩. التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون-تونس.

١٠. تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة-الرياض، الإصدار الثاني، ط١، ٢٠٠٢م.

١١. تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفىٰ المراغي، دار إحياء التراث ا العربي- بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.

١٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبدالرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن الجوزي-الدمام، ط١، ١٤٢٢هـ.
١٣. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبدالله التركي، دار عالم الكتب-بيروت، ط١، ٢٠٠٣م
١٤. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد القرطبي، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.
١٥. درء تعارض العقل والنقل، لأحمد ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الرياض، ط٢، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
١٦. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف- الرياض، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
١٧. شرح مختصر الروضة، لسليمان الطوفي، تحقيق: د. عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
١٨. صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، دار طوق النجاة-بيروت ودار المنهاج-جدة، ط١، ١٤٢٢هـ.
١٩. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢٠. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيىٰ بن حمزة العلوي، مكتبة المعارف- الرياض.
٢١. علم الجدل والمناظرة، أ.د. سعد ناصر الشثري، دار كنوز إشبيليا- الرياض، ط١، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.
٢٢. فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، لأحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية- القاهرة.
٢٣. محاسن التأويل، لمحمد القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٢٤. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعبدالحق ابن عطية الأندلسي، تحقيق: الرحالة الفاروق وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر- الدوحة، ط٢، ٢٠٠٧م.
٢٥. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لعبدالله بن أحمد النسفي، تحقيق: يوسف بديوي، دار الكلم الطيب- بيروت، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٢٦. المسند، لأحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
٢٧. معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، د. محمد حسين الجيزاني، دار ابن الجوزي- الدمام، ط٥، ١٤٢٧هـ.
٢٨. معالم التنزيل، للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة-الرياض، الإصدار الثاني، ط٢، ٢٠٠٦م.
٢٩. المنهاج في ترتيب الحجاج، لأبي الوليد الباجي، تحقيق: عبدالمجيد تركي، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط١.
٣٠. الموافقات، لإبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: مشهور حسن سلمان، دار ابن عفان- القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
٣١. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي- القاهرة.

❊ ❊ ❊